تفسير ابن كثير

لما تضمن قوله تعالى : { إنا أوحينا إليك } إلى آخر السياق إثبات نبوته صلى ا عليه وسلّم والرد على من أنكر نبوته من المشركين وأهل الكتاب قال ا تعالى : { لكن ا يشهد بما أنزل إليك } أي وإن كفر به من كفر به ممن كذبك وخالفك فا يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب وهو القرآن العظيم الذي { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد } ولهذا قال : { أنزله بعلمه } أي في علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان وما يحبه ا ويرضاه وما يكرهه ويأباه وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة التي لايعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا أن يعلمه ا به كما قال تعالى : { ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء } وقال : { ولا يحيطون به علما } .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين حدثنا الحسن بن سهل الجعفري وخزز بن المبارك قالا : حدثنا عمران بن عيينة حدثنا عطاء بن السائب قال : أقرأني أبو عبد الرحمن السلمي القرآن وكان إذا قرأ عليه أحدنا القرآن قال : قد أخذت علم ا فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل ثم يقرأ قوله : { أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى با شهيدا } قوله : { والملائكة يشهدون } أي بصدق ما جاءك وأوحى اليك وأنزل عليك مع شهادة ا تعالى بذلك { وكفى با شهيدا } قال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : دخل على رسول ا صلى ا عليه وسلّم جماعة من اليهود فقال لهم : [إني لأعلم وا إنكم لتعلمون أني رسول ا] فقالوا : ما نعلم ذلك فأنزل ا D { لكن ا يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه } الاية .

وقوله : { إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل ا قد ضلوا ضلالا بعيدا } أي كفروا في أنفسهم فلم يتبعوا الحق وسعوا في صد الناس عن اتباعه والاقتداء به قد خرجوا عن الحق وضلوا عنه وبعدوا منه بعدا عظيما شاسعا ثم أخبر تعالى عن حكمه في الكافرين بآياته وكتابه ورسوله الظالمين لأنفسهم بذلك وبالصد عن سبيله وارتكاب مآثمه وانتهاك محارمه بأنه لا يغفر لهم { ولا ليهديهم طريقا } أي سبيلا إلى الخير { إلا طريق جهنم } وهذا استثناء منقطع { خالدين فيها أبدا } الايه ثم قال تعالى : { يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم } أي قد جاءكم محمد صلوات ا وسلامه عليه بالهدى ودين الحق والبيان الشافي من ا D فآمنوا بما جاءكم به واتبعوه يكن خيرا لكم ثم قال : { وإن تكفروا فإن ما في السموات والأرض } أي فهو غني عنكم وعن إيمانكم ولا يتضرر بكفرانكم كما قال تعالى

: { وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن ا لغني حميد } وقال ههنا : { وكان ا عليما } أي بمن يستحق منكم الهداية فيهدية وبمن يستحق الغواية فيغويه { حكيما } أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره